١ الفصح

الــفــصـــح

"إذ قد أبصرنا نجاز كلّ الرموز الظليّة نُسرّ سروراً إلهياً"

تكثر، في الترانيم وفي الكتاب المقدّس أيضاً، المقارناتُ بين ما أُنبئ عنه وبما تحقق. ويخبرنا سفر الرؤيا أن الجميع عجزوا عن فضّ سفر التاريخ إلى أن جاء الحمل الذبيح الذي كان ميتاً وعاش، ففتح أختام السفر، واستطعنا أن نقرأ التاريخ. يسوع وحده فسّر لغز التاريخ. وفي يسوع تفسّرت كلّ الرسوم الظليّة.

كلمة فصح تعني "العبور". وهناك ثلاثة أعياد فصح كبرى أخذت وستأخذ موقعاً لها في التاريخ البشريّ، بحسب القدّيس مكسيموس المعترف:

الفصح الأوّل، كان عبور اليهود من أرض مصر إلى أرض الحريّة. وكانت غايته أن يتحرّر الشعب من العبوديّة ليتمكّن من الاجتماع في العبادة. بحيث تقوده هذه العبادة إلى تهيئة التاريخ وتهيئة الشعب لمجيء المسيح، الذي سيصبح هو الفصحَ الأجلّ الأمثل والحقيقيّ. لهذا يسمّي بولس الرسول العهد القديم "مدرّبنا إلى المسيح".

والفصح الثاني، هو موت وقيامة يسوع، حيث كان هو الذابح والذبيحة المقدِّم والتقدمة. وغاية هذا الفصح لم تكن تحريرنا من عبوديّة أرضيّة كما في الأوّل. ولم تكن الغاية التحرّر من أجل العبادة. إنّ هذا الفصح "هو فصح الربّ، لأنّ المسيحَ إلهنا قد أجازنا من الموت إلى الحياة، ومن الأرض إلى السماء"، كما تقول ترانيم العيد. غاية هذا الفصح صارت تحريرَنا من الخطيئة، الموت الروحيّ. وكما وعد الفصح الأوّل بالثاني، هكذا قدّم الفصح الثاني عربون الآتي.

الفصح الثالث هو يوم القيامة العامّة. قيامة يسوع هي المُنبئة بالفرح لأنّها بداية قيامتنا، فهو "باكورة الراقدين" و "البكر من بين الأموات". ما سيحصل في ذلك الفصح الآتي، يوم مجيء ربّنا يسوع المسيح، هو قيامة الجسد أيضاً بعد قيامة الروح التي يجب أن تحصل من الفصح الثاني.

كان الفصحُ الأوّل عبوراً تاريخيّاً وتهيئةً لذبيحة المسيح وتحرّراً أرضيّاً من أجل العبادة. وجاء الفصحُ الثاني عبوراً من الأرض إلى السماء أي من الخطيئة إلى الحياة. وننتظر الفصح الثالث الذي سيعبر فينا من الفساد إلى عدم الفساد، وسيبدّل طبيعة جسدنا من جسد الموت إلى جسد القيامة.

فلننشدْ نشيد النصر والظفر ولننقِّ حواسّنا حتّى نعاين المسيح ساطعاً كالبرق بنور القيامة الذي لا يدنى منه، ونسمعه قائلاً علانيّة "افرحوا" (من الأودية الأولى).